

## الفصل السادس الماء والطهارة

الإسلام دين الطهارة، فتعاليمه تحت على نظافة البدن وطهارة الثياب. وليست الطهارة المقصودة هي الطهارة الظاهرية فقط، ولكن ديننا الحنيف يحثنا على أن نحرص على التطهر ظاهرياً بالنظافة وإزالة مسببات الدنس، وباطنياً بالتمسك بمكارم الأخلاق ونهى النفس عن الأهواء والأحقاد والحسد. وقد قال الله تعالى في كتابه العزيز «... إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ» (البقرة آية ٢٢٢)، كما قال مخاطباً النبي عليه الصلاة والسلام في سورة المدثر «وَلِيَاكَ فَطَهِّرْ» (المدثر آية ٤).

والماء هو وسيلة النظافة التي يعرفها البشر جميعاً بإختلاف إنتماءاتهم وألوانهم. والماء الذي يصلح للطهارة في الفقه الإسلامي يعرف بأنه كل ماء طاهر في نفسه مطهر لغيره، كماء المطر والتلج والبرد، كما جاء في الآية الكريمة «... وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا» (الفرقان آية ٤٨)، وكما جاء في دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بين التكبير والقراءة في الصلاة (اللهم باعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب، اللهم نقني من خطاياي كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس، اللهم اغسلني من خطاياي بالثلج والماء والبرد) (رواه الجماعة إلا الترمذي).

وماء البحر كذلك يعتبر ماءً طاهراً يصح به الغسل والوضوء لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ماء البحر (هو الطهور ماؤه الحل ميتته) (رواه الخمسة). ويعامل الموتى أيضاً معاملة الأحياء في موضوع الطهارة فالميت لا يصح غسله إلا بما يصح به التطهير للحى. ويوجد تفصيل لأنواع المياه التي يجوز استعمالها للطهارة وكذلك مسببات فسادها في الكتب الخاصة بالفقه الإسلامي.

والوضوء من الأعمال الهامة التي لا تصح الصلاة إلا بها، فهي شرط لصحة الصلاة إلا إذا انعدم الماء استبدل الوضوء بالتييم. والوضوء بجانب كونه وسيلة للنظافة الظاهرية، فهو من جانب آخر استعداد نفسى يهئ الإنسان ذهنياً للإبتعاد عن مشاغل الدنيا والتجرد منها، وهو إعداد للإنسان للوقوف خاشعاً بين يدي خالق الكون لآداء عمل من أقدس الأعمال التي كلف بها الإنسان في حياته وهو الصلاة.

أما من الناحية الطبية، فللوضوء فوائد كثيرة، إذ يسبب غسيل البشرة بالماء انقباضاً مؤقتاً للعروق الشعرية السطحية، تعود بعدها لحالتها الطبيعية فيؤدي ذلك إلى ارتفاع قليل في ضغط الدم وزيادة في حركة القلب. كما يؤدي إلى تقوية حركة التنفس فيزيد بذلك مقدار المبادلات الغازية خلال الرئتين ويسبب ذلك الغسل أيضاً تنبيهاً خفيفاً لأعصاب الجلد. ومن ناحية النظافة والوقاية، فالوضوء يقي من أمراض الأسنان واللثة، فنظافة الفم تجنب الإنسان العدوى التي تنتشر عن طريق الجهاز التنفسي والفم. وكذلك فإن غسل الوجه واليدين والقدمين يقي من الأمراض الجلدية والالتهابات، كما أن الغسيل بالماء يؤدي إلى تفتيح المسام وزيادة إفراز الغدد العرقية وإزالة ما يتعرض له الجلد من ميكروبات وجراثيم تنتشر في كل مكان.

والآيات التي تتحدث عن مشروعية التيمم في حالة عدم القدرة على الحصول على الماء، هي الآيات التالية من سورتي النساء والمائدة. «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنْبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا» (النساء آية ٤٣). «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنْبًا فَاطَهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ» (المائدة آية ٦).

وفي الآية الثانية تفصيل لعملية الوضوء بالماء، وكذلك الأسباب التي تتطلب الطهارة ثم الطريقة التي يتم بها التيمم.

ومن عفو الله وغفرانه أنه شرع التيمم للمسلمين والصلاة به إذا فقدوا الماء توسعه عليهم ورخصه، وهذا تنزيه للصلاة أن تفعل على هيئة ناقصة أو جنابة، وهو من

رحمة الله بعبادة ورأفة بهم وتسهيلا عليهم. كما أباح الله تعالى التيمم عند المرض كما في حالة فقد الماء رحمة بالعباد وجعل التيمم يقوم مقام الماء.

أما الآية التالية فهي تدور حول الطهارة وقد وردت في مناسبة معينة : « إِذْ يُغْشِيكُمُ النَّعَاسَ أَمْنَةً مِنْهُ وَيُنزِلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ » (الأنفال آية ١١). والخطاب في هذه الآية لأهل بدر، والمعنى : اذكروا حين يلقي عليكم النعاس أماناً من الله لكم وينزل عليكم المطر من السماء ليطهركم من الأحداث والجنابات ويدفع بذلك عنكم وسوسة الشيطان وتخوفه إياكم من العطش، وليقوى قلوبكم بالثقة بنصر الله برغم قلة عددكم، ويثبت بالمطر الأقدام حتى لا تسوخ في الرمال. ويروى أن المسلمين نزلوا في كثيب تسوخ فيه الأقدام وناموا فاحتلم بعضهم، فوسوس لهم الشيطان : كيف تُنصرون وقد غلبتم على الماء، وأنتم تصلون محدثين مجنبيين، وتزعمون أنكم أولياء الله وفيكم رسوله؟.. فأنزل الله المطر، فشرب المسلمون وتطهروا وثبتت أقدامهم، وأذهب الله عنهم وسوسة الشيطان.